الشريف محمد بن فلاح الكاظمي

٠٠٠٠ – قبل ١٢١١هـ

٠٠٠٠ – قبل ١٧٩٧م

أبو الحسين محمد بن فلاح الحسيني الكاظمي، المعروف بالشيخ شريف[١].

ولد بالكاظمية[٢]، ونشأ بها، وتلقى علومه الأولية على مدرسيها، ثم قصد مدينة النجف الأشرف للاستزادة من طلب العلم. وقد لمع نجمه فيها لمعاناً كبيراً، وبلغ من الشهرة، وذيوع الصيت، ورفعة الشأن، ما جعله في الرعيل الأول من طبقته.

وقد اختلف المؤرخون، هل ان ابن فلاح هو رجل واحد أم إثنان، أحدهما سيد والآخر شيخ، وخير من صوّر هذا الاختلاف السيد محسن الأمين، وغلّب انهما اثنان، قال:

"ثم أنه ربما يكون قد حصل اشتباه بين السيد شريف والشيخ شريف، ومنشأ الاشتباه وجود رجلين كل منهما يسمى شريف الكاظمي، أحدهما سيد حسيني والآخر غير سيد. ويدل على الاتحاد كون كل منهما ابن فلاح، وان الموجود في جميع ما رأيناه السيد شريف بن فلاح الكاظمي لا الشيخ شريف، فإما أن يكون الشيخ شريف لا وجود له، أو يكونا اثنين" ثم قال: "والذي يغلب على الظن أنهما شخصان: أحدهما سيد حسيني، لأنه قد وصفه بذلك من ترجمه، وكذلك رأيناه في كل ما اطلعنا عليه. ومن تسمّى بالشيخ شريف لم نجده الا فيما أخبرنا به بعض السادة الحيدرية، والذي يغلب على الظن انهما اثنان: أحدهما سيد حسيني والآخر غير سيد. ووقع الاشتباه بينهما في اسم الأب، وفي نسبة الشعر فنسب أحدهما إلى الآخر، بل وفي الاسم فسمي أحدهما شريف والآخر محمد شريف، وغير ذلك. وهذا يقع مثله كثيراً في مثل المقام، وبذلك يندفع جميع ما اعترض به هنا من الاعتراضات، ويُجاب عن جميع التنافيات".

إلا ان الشيخ محمد حسن آل ياسين، رفض هذا التخريج، وقال أنه رجل واحد معلوم، وانه حسيني النسب، شريف الحسب. واستند في إثبات ذلك إلى بعض النصوص من شعر السيد المترجم، وإلى ما قاله فيه بعض معاصريه.

---

[١] تراجع ترجمته وشعره في (شعراء كاظميون: ٢/١١-١٠١)

[٢] لا يُعلم تاريخ ولادته.

ويُضاف إلى ما أورده (رحمه الله)، ما قاله السيد حسن الصدر في ترجمته في كتابه التكملة، إذ قال: "من أجلاء السادات وأهل العلم والفضل والأدب. شاعر مجيد كثير المدح والرثاء لأهل البيت (ع)". ثم قال: "وعندي كتاب كنز الفوائد ودفع المعاند، تأليف الشيخ علم بن سيف بن منصور، في تأويل الآيات القرآنية النازلة في أهل البيت (ع)، يوجد على ظهره خط السيد الشريف وصورته: بسم الله الرحمن الرحيم، دخل في نوبة العبد سيد شريف بن فلاح الكاظمي، وفقه الله لمراضيه وجعل مستقبل عمره خيراً من ماضيه، آمين رب العالمين. انتهى. ويتلو خطه هذا خط لبنته ونصه (ملك كناسة بنت سيد شريف). أقول ويظهر من ذلك ان ابنته كانت من النساء الفاضلات". انتهى.

وأشهر قصائد هذا السيد الجليل، ملحمته التي اشتهر بها، وهي القصيدة الكرارية في مدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، حتى صار يعرف بصاحب القصيدة الكرارية، وقد نُظمت في سنة ١١٦٦هـ، كما أرخها هو بقوله (ختامه مسك). وأُختلف في عدد أبياتها، فهي على أقل الروايات بلغت (٣٤٨) بيتاً، وعلى أكثرها بلغت (٥٠٠) بيت. ولجلالة شأنه، وعمق روابطه بأعلام عصره، قرظ العلماء والأدباء ديوان شعره، المؤرخ بقول الشيخ مهدي الفتوني في آخر تقريظه (نظامكم جمان)، وذلك يطابق سنة ١١٥٥هـ. وقد أورد الشيخ آل ياسين أسماء الأعلام المقرظين للكرارية التي مطلعها:

نظـرت فـأزرت بالغـزال الأحـور وسـطت فـأردت كـل ليـث قسـور

مع نصوص منتخبة من تقاريظهم لتكون عوناً على معرفة أدق وأشمل بمترجمنا وشعره وعصره، وهم:

١- السيد أحمد بن محمد العطار الحسني ٢- الشيخ أحمد بن الحسن النحوي ٣- الشيخ جواد بن شرف الدين محمد مكي النجفي ٤- السيد عبد العزيز بن أحمد الحسيني النجفي ٥- الشيخ كاظم الأزري ٦- السيد حسين بن محمد العطار الحسني ٧- السيد أبو الحسن بن حسين الحسيني الكاظمي ٨- الشيخ عبد الكاظم بن علي الكاظمي ٩- الملا أحمد بن رجب البغدادي ١٠- الشيخ محمد الجواد بن سهيل النجفي ١١- الشيخ حسن بن الشيخ حبيب التميمي الكاظمي ١٢- الشيخ أحمد الخطيب ١٣- الشيخ زكريا بن علي چلبي ١٤- السيد محسن الأعرجي الكاظمي ١٥- الشيخ محمد علي بن بشارة الخاقاني ١٦- الشيخ محمد مهدي الفتوني العاملي ١٧- الشيخ مسلم بن عقيل الجصاني ١٨- الشهيد السيد نصر الله الحائري.

اختلف المؤرخون في سنة وفاته، فأكثرهم نقل انها كانت سنة ١٢٢٠هـ، ومنهم الشيخ محمد السماوي، والسيد محسن الأمين، والشيخ محمد حسن آل ياسين، والدكتور حسين محفوظ، وعمر كحالة، ومنهم من قال انه توفي قبل سنة ١١٩١هـ، استنادا إلى ترجمته في تتميم أمل الآمل، لعبد النبي القزويني (المتوفى١١٩١هـ). ولكن السيد حسن الصدر قال في التكملة: "رأيت في مجموعة السيد سليمان بن داود الحلي، بخط يده ما لفظه: وقال الأديب العالم العامل، والفاضل الكامل، محمد شريف الكاظمي (رحمه الله). ويظهر من ترحمه عليه ان وفاته قبل سنة ١٢١١هـ، التي توفي السيد سليمان فيها".

أما مكان وفاته ومدفنه، فلم يتطرق لها أحد، إلا إشارة رأيتها بخط الدكتور حسين علي محفوظ، قال فيها: "توفي بالكاظمية سنة ١٢٢٠هـ، ودفن بها، وقد عمّر طويلاً"[٣].

شعره:

جمع السيد الشريف شعره في ديوان خاص، لكن لا وجود لنسخته، فقام الشيخ محمد طاهر السماوي بجمع ما تبقى من شعره، وسماه (علويات الفاضل الشريف ابن فلاح الكاظمي). وكذلك نشر الشيخ محمد حسن آل ياسين كل ما عثر عليه من شعره في الجزء الثاني من كتابه (شعراء كاظميون)، ووصفه بأنه من النوع المتوسط الذي يسمو تارة، ويهبط أخرى.

قال من قصيدة في مدح النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، مطلعها:

أشجاك برق لاح بالجرعاءِ ... فأثار منك لواعج البرحاءِ

ومنها:

يا خاتم الرسلِ الكرامِ الغُرِّ يا ... خيرَ الأنامِ وخيرةَ الأمناءِ

يكفيكَ فخراً أنَّ ربَّكَ دونهم ... بالقربِ خصّكَ ليلةَ الإسراءِ

إن يسبقوكَ إلى الزمانِ فذاكَ ضَوْ ... ءُ الصبحِ لاحَ مبشّراً بذُكاءِ

إن يسبقوك به فما سبقوكَ نُو ... راً قبلَ خَلقِ اللهِ للأشياءِ

أصبحتَ خاتمهم فأصبحَ باسمك المسْ ... سَامي المعظَّمِ خَتْمُ كلّ دعاءِ

---

[٣] من مصادر الدراسة: أدب الطف: ١٢٢/٦-١٣٠، أعيان الشيعة: ٣٤١/٧، تكملة أمل الآمل: ١٥٥/٣-١٥٦، تتميم أمل الآمل: ١٧٩، شعراء كاظميون: ٩/٢-١٠٢، الطليعة: ٣٩٢/١-٣٩٤، كواكب مشهد الكاظمين: ٤٠٦/١-٤٠٩، معارف الرجال: ٢٩٣/٢-٢٩٧، معجم المؤلفين: ١٣٢/١١، النفحات القدسية: ١٩٣ و ٣٦٣.

مـــا أعقبـــوا آلاً كآلِـــكَ لا ولا صـــحبوا هنـــاك كصـــحبِكَ الرُّحمـــاءِ
جـلَّ الـذي مـن وصـمةِ الأرجـاسِ عَـرْ رَاهـــم وجَلَّلهـــم بخـــيرِ كســـاءِ

* * *

يا طـــاويَ البيـــداءِ غـــيرَ معـــرّجٍ ينحـــو نـــواحيَ طيبـــةَ الغـــرَّاءِ
عـــرّجْ إذا لاحـــتْ لعينـــكِ قبَّـــةٌ تجلـــو أشـــعتها دجـــى الـــلأواءِ
وقـل السـلامُ عليـكَ يا غـوثَ الـورى مـــن نازحٍ عـــن عقـــرِ دارِكَ نائـــي
يشـــتاقُ قربـــكَ والخطـــوبُ تصـــدُّهُ فـــيحنُّ نحـــوكَ حَنَّـــةَ الأنضـــاءِ
أخـــنى عليـــه صـــرفُ دهـــرٍ لم يـــزلْ أبـــداً يُريـــه تلـــوُّنَ الحـــرباءِ
فـــامننْ علـــيَّ بلـــثمِ تربِـــكَ ســـيدي كرمـــاً وحقِّـــقْ فيـــك حُســـنَ رجـــائي
لـــولاكَ مـــا أضـــحى "الحســـينيُّ الشريـــ ـــفُ أبـــو الحســـين" يُعَـــدُّ في الشـــرفاءِ
خُـــذها رســـولَ اللهِ بكـــراً غـــادةً جـــاءت تجـــرُّ إليـــكَ ذيـــلَ حيـــاءِ
راقـــتْ مطالعُهـــا وطـــابَ ختامُهـــا وزهـــتْ بمـــدحٍ زاهـــرٍ وثنَـــاءِ

له يرثي الإمام الحسين (عليه السلام)، من قصيدة مطلعها:

ذكـــر الطفـــوف ويـــوم عاشـــوراء منعـــا جفـــوني لـــذة الاغفـــاء
وتـــذكري رزء الحســـين بنينـــوى أغـــرى دمـــوع العـــين بالاجـــراء

ومنها:

لم أنســـه وهـــو القـــؤول لصـــحبه قومـــوا فمـــا هـــذا بيـــوم بقـــاء
قومـــوا إلى المـــوت الـــذي لا بـــد أن تلقـــوا مرارتـــه مـــن الأعـــداء
فتبـــادروا – لله درهـــم – وقـــد سمحـــت نفوســـهم لـــه بفـــداء
وغـــدا حبيـــب محمـــد وغريبـــه بـــين العـــدا، بأبي الغريـــب النـــائي

وقال يمدح الامامين موسى بن جعفر ومحمد الجواد (عليهما السلام) من قصيدة:

ببغـداد جـاد القطـر أكنـاف بغـداد بقاع – لعمري– ضمّنت خير أجساد
حـوت مـن بـني الزهـراء أكـرم فتيـة نمـتهم الى العليـاء أشـرف أجـداد

ومنها:

فيـا قاصـد الـزوراء يبغـي زيارة الـ إمـامين موسـى والجـواد أبي الهـادي

تهـنّ بهـذا القصـد واسـعد بـه فقـد سـلكت – بـلا شـك – محجـة ارشـاد
لـك الخـير قـد يممـت أشـرف بقعـة يحـثّ اليهـا في السـرى عيسـه الحـادي
تـود الثـريا لـو غـدت فـوق بابهـا الـ ـمبارك شـبّاكاً يضـيء بـه النـادي

ومن شعره، قوله مادحاً السيد أحمد العطار:

إحـدى معـاجز أحمـد الهـادي الـتي مـن بعـده ظهـرت لعمـري أحمـدُ
أنى يكـون ولا يكـون كمثلـه وأبـوه ان عـدّ الرجـال محمـدُ
هـو ذا فجـئ بمثيلـه مـا مـدّ في عمـر الزمـان ومـا الخلايـق أوجـدوا
هـو بيضـة العقـر الـتي ضـربت بهـا الأمثـال بعـد اليـوم ليسـت توجـد
يكفيـه فخـراً انـه مـن معشـر فخـر الفخـار بهـم وسـاد السـؤددُ
أدب وعلـم والسـيادة والتقـى والعلـم والكـرم الـذي لا يجحـدُ
إن عـدّت العلمـاء كـان عليـمهم أو عـدّت السـادات فهـو السـيدُ
يعـزى لعمّـار وسـلمان ومقـدا د وجنـدب في الصـلاح ويسـندُ
الله أكـبر هكـذا مـن آدمٍ وبنيـه في الأقطـار شـخص يوجـدُ
حـوّاء قـد باهـت بـه أولادهـا في الـذرّ فهـو لـدى الفخـار الأوحـدُ
ولقـد أقـول لحاسـدٍ ذي مريـةٍ أصـخى بتكـذيبي يجـد ويجهـدُ
هـا ألسـن الأقـلام قـد نطقـت بمـا علمـت وأفـواه المحـابر تشـهدُ
قـرّت بـه عـين النـبي فيـا لـه شـرفاً تقـوم لـه الرجـال وتقعـدُ
بجبينـه الوضـاح نستسـقي ومـن أنـواره نُهـدى ومنهـا نرشـدُ
بدعائـه نسـتجلب الأرزاق إن ضـاق الخنـاق ونسـتزيد ونرفـدُ
لـو كـان ثالـث عشـرة لـلآل لم أكُ ثم بابـن محمـد أتـردُ

وله قصة مشهورة، وهي أنه احتاج وهو في النجف فقصد الروضة المقدسة وأنشد قوله:

أبا حسـن ومثلـك مـن يُنـادى لكشـف الضـر والهـول الشـديد
أتصـرع في الـوغي عمـرو بـن ود وتـردي مرحبـا بطـل اليهـود
وتسـقي أهـل بـدر كـأس حتـف مصـبرة كعتبـة والوليـد
وتجـري النهـروان دمـاً عبيطـاً بقتـل المـارقين ذوي الجحـود
وتأبى أن تكـف جيـوش عسـري وتنصـرنى علـى الـدهر العنـود
وهـا هـو قـد أراني الشـهب ظهـرا وأحـرم ناظـري طيـب الهجـود

فـــاطلع في سمـــا الاقبـــال بـــدري وبـــدل نحـــس حظـــي بالســـعود
وأوردني حيـــــاض نـــــداك اني لمحتـــــــاج إلى ذاك الـــــــورود
أترضـــى أن يكـــدر صـــفو عيشـــي وتصـــبح أنـــت في عـــيش رغيـــد
أتـــــنعم في الجنـــــان خلـــــي بال ومـــني القلـــب في جهـــد جهيـــد
أمـــا قـــد كنـــت تـــؤثر قبـــل هـــذا ببـــذل القـــوت في القحـــط الشـــديد
فكيـــف أخيـــب منـــك وأنـــت مثـــر عـــديم المثـــل في هـــذا الوجـــود
أمـــا لاحـــت لمرقـــدك المعلـــى جـــواهر كـــدرت عـــيش الحســـود
فمـــــن در وياقـــــوت مشـــــع ومـــن مـــاس تلـــوح علـــى عقـــود
ومـــن قنـــديل تـــبرٍ بات يجلـــو ســـناه الهـــم عـــن قلـــب الوفـــود
فجـــد لي يا علـــي بـــبعض هـــذا فـــان التـــبر عنـــدك كالصـــعيد
ولي يا ابـــن الكـــرام عليـــك حـــق رثاء ســـليلك الظـــامي الشـــهيد
فكـــم أجريـــت مـــن دمـــع عليـــه وكـــم فطـــرت قلبـــاً كالجليـــد
فكـــن في هـــذه الـــدنيا معيـــني وكـــن لي شـــافعاً يـــوم الـــورود

قال فسقط عليه قنديل ذهب، فأُخذ وعُلق، فوقع عليه ثانية فأخذه.

وقال يمدح أمير المؤمنين (عليه السلام)، من جملة ملحمته الطويلة المسماة بـ (الكرارية)، ومطلعها:

نظـــرت فـــأزرت بالغـــزال الأحـــور وســـطت فـــأردت كـــل ليـــث قســـورِ

ومنها:

قـــالوا: النفـــور يشـــين حســـن طباعهـــا قلـــت: الغـــزال يعـــاب لـــو لم ينفـــرِ
قـــالوا: تصـــبر، قلـــت: كـــلا والهـــوى مـــا الشـــوق الا أن يبيـــد تصـــبري
ويـــــلاه مـــــا لي والظبـــــاء قتلنـــــني والأســـد تلقـــى الحتـــف عنـــد تصـــوري

ومنها:

قســـماً بـــه مـــا شـــاق قلـــبي بعـــده مغـــنىً ســـوى مغـــنىً بأكنـــاف الغـــري
مغـــنىً حـــوى قـــبراً حـــوى جســـداً حـــوى صـــدراً حـــوى علـــم النـــبي الأطهـــرِ
نفـــس الرســـول وصـــنوه ووصـــيه بالـــرغم مـــن أنـــف الجحـــود المنكـــرِ
ذو الحـــزم ماضـــي العـــزم طـــود الحلـــم بحـ ـــر العلـــم حقـــاً حجـــة المتبصـــرِ

الشـــامخ النســـب الامـــام المجتـــبى البـــاذخ الحســـب الزكـــي العنصـــرِ
لـــولاه لم يســـفر لنـــا صـــبح الهـــدى والحـــق عـــن ليـــل الضـــلال الأعكـــرِ

وقال مخمساً بيتين يمدح بهما قائلهما أمير المؤمنين علياً (عليه السلام):

نفســي لــذكر علــيّ المرتضــى طربــتْ والناس من فرط إخلاصي له عجبتْ
رضـعت ثـدي الـولا مـن حـرة نجبـتْ (لا عـــذّب الله أمـــي انهـــا شـــربتْ
حـــب الوصـــي وغذتنيـــه باللـــبنِ)
كـم مـن حقـوق لهـا عنـدي ومـن مـننٍ أبـدي لهـا الحمـد في سـر وفي علـنٍ
أكـــرم بأمـــي وأكـــرم فيـــه مـــن لـــبنٍ (وكـــان لي والـــد يهـــوى أبا حســـنٍ
فصـرت مـن ذي وذا أهـوى أبا حسـن

ومن روائعه ما كتبه في مقام مشهد الشمس بالحلة:

أقـــول وقـــد دخلـــت مقـــام مـــولى أنخـــت ركـــاب آمـــالي لديـــه
ألا لا تعـــــجبوا للشـــــمس ردت بـــه دون الـــورى جهـــراً عليـــه
فوجـــه (المرتضـــى) لا شـــك شمـــس وشـــبه الشـــيء منجـــذب إليـــه